المهن العائلية في مواجهة الأزمات الاجتماعية

ACCES
AGENCE CONSULTATIVE ET CENTRE EDUCATIF DE SHEILD

SHEILD
RESEARCH & DATA UNIT

By SHEILD GROUP

المهن العائلية في مواجهة الأزمات الاجتماعية

عرف لبنان منذ القرنين الماضيين انتقالاً للمهن من الآباء إلى الآبناء. وقد ساهمت عوامل عدة في هذا الإنتقال، منها ما هو عائلي، ومنها ما هو جغرافي وبيئي، ومنها ما له علاقة بطبيعة المهنة نفسها ومدى استمرار الحاجة إليها مع تغير الأحوال الاقتصادية والاجتماعية.

لم ينقطع توارث المهن واستمر يعبّر من جهة عن حاجات المجتمع المحلي، ومن جهة ثانية عن الترابط العائلي الذي يتعرض اليوم لكثير من الضغوط بسبب الأوضاع الاقتصادية التي ترغم الكثيرين على السفر ومغادرة الأهل والبلاد، والتخلي عن مهنة الآباء بحثاً عن المستقبل في أماكن أخرى.

مع ذلك بقيت مهنة الآباء نوع من الإرث الذي تحتفظ به الأجيال بغض النظر عن مردوده الاقتصادي، وقد ارتبط اسم بعض المهن باسم عائلات معينة بحيث كان اندثار المهنة يعني اختفاء اسم العائلة. هذه الحرف التي اشتهرت بها عائلات حملت اسمها مثل النجار والحداد والمبيض والمنجد والطحان ...

"هذه المهنة لا تكفينا اليوم، لكن يد جدي باركتها، وقد توارثناها أباً عن جد". هذه العبارة تكاد تكون الرد الأول الذي يجيبك عنه كل حرفي تسأله عن جدوى استمراره بالحرفة التي يعمل فيها إلى اليوم.

الحرف في لبنان جزء من تراثه وقد اتخذت سمات مناطقية وعائلية بفعل انتقالها من الاجداد إلى الأبناء على امتداد مئة سنة وأكثر. وعند البحث عن تاريخ الحرف في لبنان نجد أنها انتشرت وازدهرت عبر مسارين: الأول مناطقي، حيث تفرّدت بلدات دون غيرها بحرفة معينة، فيما اتخذت حرف أخرى شهرة عائلية بفعل إتقانها واستمرارها من الاجداد الى الابناء.

وعلى المستوى المناطقي اشتهرت مهن كثيرة في لبنان، فحين نتحدث عن مهنة الدباغة، تتوجه الأنظار مباشرة إلى بلدة مشغرة في البقاع الغربي وتحديدا الى آل غزالة الذين اشتهروا مع غيرهم بهذه الحرفة وتوارثوها أبا عن جد. (والدباغة هي عملية تحويل جلود الحيوانات الى منتج يستفاد منه ويجري دبغه أي صبغه) فيما تزدهر حرفة صناعة السكاكين في جزين جنوب لبنان وهي رائدة في هذا المجال، حيث تُعرض في الأس

واق بأشكال مختلفة للزينة والتذكار والاستخدام اليومي. أما صناعة الصابون فهي مهنة أهل طرابلس وصيدا، ومتحف الصابون في صيدا يتتبع تاريخ هذه المنطقة مع هذه المهنة التي اشتهرت على نطاق واسع فيها، يضاف اليها مهن اشتهرت بها صيدا وبعض عائلاتها كحرفة الاسكافي وعمرها في صيدا أكثر من مئة وعشرين عاما، اشتهر بها آل البزري وتوارثوها أبا عن جد.

فيما اشتهرت مدينة بنت جبيل بصناعة الأحذية واستمرت هذه الحرفة حتى مع دخول الآلات الحديثة.

تختلف المهن باختلاف المناطق ، فعندما نصل إلى الساحل اللبناني، سنتعرف على صناعة الزجاج في بلدة الصرفند، وهي حرفة توارثها آل خليفة عن اجدادهم وطوروها اليوم وجددوا فيها لتكون ملائمة للزينة والديكور والاستخدام اليومي مع اضافات جديدة وعصرية تتناسب مع أذواق الناس، لكن من دون ان يغيروا في طريقة الانتاج، إذ ما زال المعمل الحراري على حاله.
واجهت هذه المهن العائلية على اختلاف أنواعها تحديات كثيرة بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية التي رفعت كلفة المواد الأولية من جهة وبسبب منافسة البضائع المستوردة من جهة ثانية والتي قد تكون في بعض الأحيان أرخص من التصنيع المحلي الذي لا يحظى بأي دعم أو اهتمام رسمي حكومي. خاصة وأن بعض المهن يرتبط بدورة انتاجية كاملة مثل تصنيع السجاد في منطقة البقاع الشمالي الذي يعتمد على صوف الأغنام، ما يفرض الحاجة إلى الاهتمام بتربية المواشي التي يجب أن تكون سياسة حكومية وليس سياسة عائلية.

ومن المهم الإشارة إلى البعد التنموي المحلي لهذه المهن العائلية التي توفّر فرص عمل للجميع بمن فيهم النساء من دون الإبتعاد عن المنزل وتحمل مشقات التنقل وكلفته، والمحافظة في الوقت نفسه على الترابط العائلي من خلال العمل معاً في مهنة واحدة.

لا شك أن بعض المهن قد اندثر بفعل التحولات الصناعية التي أنهت استخدام بعض الآلات، وهذا ما لا يمكن مواجهته أو منع حصوله، فهو نتاج التطور في طبيعة الخدمات والاستفادة من الوقت والسرعة في الإنتاج. كما أن ظاهرة هجرة الشباب التي توسعت في السنوات القليلة الماضية أثرت سلباً على استمرارية بعض الحرف.

إن الأزمات الاقتصادية الاجتماعية، التي يعيشها لبنان والتي أثرت سلباً على كثير من مناحي الحياة، ساهمت في الوقت نفسه في تشجيع العودة مجدداً إلى المهن التي عمل فيها الآباء والأجداد لاستعادتها أملاً في توفير المال، وسد الحاجات، وبناء صناعات بسيطة تكفي الإحتياجات العائلية من دون طموحات كبيرة. ولو حصلت هذه المهن على الدعم المناسب لكانت مساهتمها أكبر بكثير في التنمية المحلية، وفي الحد من هجرة الشباب، وفي تعزيز ثقافة الاعتماد على الإنتاج الذاتي.

اليسار الحاج يوسف
إعلاميّة
معدّة برامج اجتماعية